خطبة بعنوان: الثناء الحسن

يوم الجمعة: ١٤٤١/٠٣/١٨هـ لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيزبن أحمد البداح

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد...

فيا أيها المسلمون... إن الدنيا لا خلود فيها لأحد ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[الزمر:٣٠]، لكن يخلد صالح الأعمال، ويبقى جميل الخصال. يموت بعض الخلق، ويبقون في الخلق حمدًا، وثناءً، وذكرًا، ودعاءً، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

قد مات قومٌ وما ماتت مكارمهم ***وعاش قومٌ وهم في الناس أمواتُ

أيها المسلمون... إن أبقى الناس ذكرًا، وأرفعهم قدرًا هو الرسول المكرم والسيد المعظم ﷺ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، دعا إبراهيم عليه السلام ربه أن يبقي في الخلق ذكره ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء:٨٤] فأجاب الله دعاءه﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾[الصافات:١٠٨]، وامتد ذكره إلى بنيه من بعده إسحاق، ويعقوب ﴿...وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [مريم:٥٠]

أيها المسلمون... إن المؤمن يعمل الأعمال، ويقدم الأقوال، ويقيم الأحوال لله تعالى ذي الجلال ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام: ١٦٢-١٦٣] فهو لا يرغب في ثناء، ولا يتطلع إلى محمدة، ولا يرجو ذكرًا ولا مكانة﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾[الإنسان: ٩] لكن الله تعالى بفضله وعطائه يعطي ويكرم ويتفضل وينعم على من شاء من خلقه فيضع لهم القبول في الأرض، والذكر الحسن بين الناس. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه قيل: يا رسول الله الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه فقال ﷺ :((تلك عاجل بشرى المؤمن))

أيها المسلمون... إن الذكر الحسن من أهل الخير في الدنيا بالحق يوجب للعبد البشارة في الدنيا بالجنة، روى ابن ماجه أن النبيﷺ قال : ((أهل الجنة من ملأ الله تعالى أذنيه من ثناء الناس خيرًا وهو يسمع، وأهل النار من ملأ الله أذنيه من ثناء الناس شرًا وهو يسمع)).

أيها المسلمون... إن الذكر الحسن من أهل الخير بالحق في الدنيا بشارة للمؤمن، روى ابن ماجه أن النبي ﷺ قال: ((يوشك أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار)). قالوا: يا رسول الله بمَ ذاك؟ قال:((بالثناء الحسن، والثناء السيّئ، أنتم شهداء الله بعضكم على بعض)).

أيها المسلمون... إن الذكر الحسن من أهل الخير بالحق في الدنيا موجب لدخول الجنة، روى البخاري ومسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه مرت جنازة على النبيﷺ فأثنَوا عليها خيرًا فقال : ((وجبت))، ثم مرت جنازة فأثنوا عليها شرًا فقال ﷺ: ((وجبت))، فقيل:يا رسول الله مرت جنازة فقلت : ((وجبت))، ثم مرت الأخرى فقلت : ((وجبت))، فقال : ((مرت الأولى، فأثنيتم عليها خيرًا فوجبت لها الجنة، ومرت الأخرى، فأثنيتم عليها شرًا فوجبت لها النار)).

أيها المسلمون... إن الذكر الحسن يناله العبد إذا نال محبة الله إذا أحبه الله تعالى، روى البخاري أن النبي ﷺ قال: ((إن الله إذا أحب عبدًا نادى جبريل: يا جبريل إني أحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في أهل السماء: يا أهل السماء إن الله يحب فلانًا فأحبوه، ثم يوضع له القبول في الأرض)).

أيها المسلمون... إن الذكر الحسن يُنال إذا أقبل العبد على القرآن حفظًا، وتلاوةً، ولهجًا به آناء الليل وأطراف النهار قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾[الزخرف:٤٤] وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ - يعني: لشرفٌ- ، ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[الأنبياء:١٠] يعني: فيه شرفكم.

أيها المسلمون... إن الذكر الحسن يُنال إذا بذل العبد المعروف والندى، وكف الشر والأذى.

لا خَيْلَ عِندَكَ تُهْدِيهَا وَلا مالُ *** فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إنْ لم تُسعِدِ الحالُ

أيها المسلمون... إن العبد ينال الذكر الحسن إذا كان ما بينه وبين الله في خلوته وباطنه وسره عامرًا بالطاعة والخوف والمحبة والتعلق والرغبة والرهبة والخضوع والخشوع. فإذا كان كذلك أكسبه الله تعالى نورًا وطيدًا، فلا يرى الناس منه إلا أحسن حال، ولا يلقونه إلا أطيب ريح، روى البزار بإسناد صحيح أن النبي ﷺ قال: ((ما من عبد إلا وله صِيت في السماء فإذا كان صِيته في السماء حسنًا كان صِيته في الأرض حسنًا، وإذا كان صِيته في السماء سيئًا كان صِيته في الأرض سيئًا)).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وتقبل الله مني ومنكم تلاوته إنه هو السميع العليم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيمًا لشانه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا...

اعلموا أن خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، وعليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة، ومن شذ شذ في النار -عياذًا بالله-، واعلموا أن الله أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، وثلث بكم أيها المؤمنون، فقال جل من قائلٍ عليمًا ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب: ٥٦]

اللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك ورسولك محمد، وارضَ اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنَّا معهم بمنك وكرمك وجودك وإحسانك يا رب العالمين.